في مؤتمر البحر المتوسط

بقلم شارل قرم

عقد المجمع العلمي للبلدان الواقعة على البحر المتوسط مؤتمرًا للثقافة تنابت جلساته ، في مدينة موناكو ، من ٣١ تشرين الاول الى ٣ تشرين الثاني ١٩٣٥ . وقد مُثلت فيه كل الدول الواقعة على بحرنا هذا ، الآخذة بانواع الثقافة المزدهرة على شواطئه ، من اسبانية وفرنسة وايطالية واليونان الى لبنان ومصر وتونس والجزائر ومراكش . ومتى عرفنا ان من اعضاء ذاك المجمع العلمي مَن هم في قمة الثقافة العالمية اليوم ، على اختلاف النزعات ، كلويس برتران ، وبول ڤاليري ، وغبريال هانوتو ، وغبريالي دانونزيو ، وهنري جيرو ، ولوبي هيراندللو ، وبول موران . . . ومتى عرفنا ان هذا المؤتمر الدولي للثقافة هو الاول من نوعه تشترك فيه كل الدول المذكورة ويشرّفه برعايته امير موناكو ؛ ومتى عرفنا انه كان من المساهمين في اعماله م . پوانيس ، وزير اليونان المتوفّى في باريس ، وجان استرليش ، رئيس مجلس الثقافة في تتالونية ، ولويس پيرار رئيس نادي الكتّاب في بلجيكة ، وكلود فاريز ، ولويس برتران ، وبول ڤاليري ، وفرديناند باك ، والشاعر جان ديتيو ، وغبريال بوانّي وغيرهم ؛ ادركنا عمل المجمع المذكور في سبيل التفاهم بين شعوب ودول اختلفت تاريخًا ونزعات ، على اشتراكها في ثقافة ، متفرّعة المظاهر دون شك ، ولكنها موحّدة الجوهر والميزة الاساسية .

وقد كان من حظ لبنان ان مثّله ، في تلك الحلقة السامية من ارباب الفكر والبيان ، شاعر مفكّر صبغ الهامه السامي بروعة الجيل الاخّاذة ، ومثّل فكرته العميقة بخلجة البحر الرصينة ، واذا به صورة لبنان ، ذاك البرزخ الواصل بين الشرق والغرب ، بل تلك الصلة بين الثقافتين تأخذ ما فيها من حسنات وتخفّف ما اختمّتا به من نشزات . مثّل شارل قرم لبنان بكل ما فيه من نزعة الى العلم الصحيح لا يقف في سبيلها عقبة ، ومن اخذ بالشعر السامي لا يحدّه همّ مادّي ؛ ومن سمة فكر ورحابة صدر امتازت بها تلك الرسالة الانسانية السامية التي اخذ اللبناني على عاتقه ان يبلّغها العالم ، منذ ان كانت فنيقية حتى اليوم ، لا توقفه في تحقيقها حدود جغرافية ، ولا تعصّبات عنصرية ، ولا نزعات قومية . يحدّه ، في كل ذلك

اخلاص تربه لمسله لا تشوبه شائبة ذاتية ، وايمان وطيد بالله لا يحجبه قنوط ، ولا يزعزعه شك . هذا ما عدا في خطابَي شارل أفرم ، في اول جلسات المؤتمر ، وفي جلسته الختامية . وهو ، لعمري ، لبنان نفسه يخفق في ماضيه العريق ؛ وحاضره العجيب ؛ ومستقبله الزاهر ، ان شاء الله . وقد كان لجرأة الخطيب الجذابة ، ولفخره المشروع ، ابعد وقع ، واعمق تأثير . فردّدت الصحف الادبية ، من فرنسوية ولبنانية ، صدى التصفيق الشامل الذي عاجه شاعرنا في ذاك المحفل الرصين (١) . وكان من واجبنا ان نلخّص خطابه الاول ، وفيه وصف لبنان ؛ وان ننشر كاملًا خطابه الاخير وفيه امنية لبنان .

بدأ الخطيب كلامه شاكرًا للامير موناكو المالي عطفه على المؤتمر ، ذاكرًا شكر لبنان للامير السابق تفضّله على مكتبة بيروت الوطنية بمجموعة منشورات معهد الدروس الاوقيانوسية . ثم حيّا المؤتمرين تحيّة اهل لبنان ، المعتبر بعدد سكّانه ، الكبير بثقافته الاخلاقية والاجتماعية .

بعد ذلك عرض لوصف لبنان وصفًا جمع بين التصوير الجغرافي ، والمعلومات التاريخية ، والاسلوب الشعري ، مشيرًا الى ان اكثر شعوب العالم مرّت في تلك المنطقة الضيّقة فتركت آثارها الناطقة الى اليوم ، حتى ان من يدرس لبنانَ الحاضر ، في طيّات ماضيه ، يخال نفسه في مؤتمر للثقافات المتنوّعة اشبه بالمؤتمر الحالي ، وقد لا يستبعد ان يجد بين اولئك المؤتمرين اجدادًا لنير واحد من اعضاء مؤتمر موناكو هذا .

ولهذا رأى الخطيب « ان يصوّر لبنان الطبيعي بخطوط اجمالية تُظهر ، على رغم ما يغطيها من تجمّدات خدّدها الزمن ، ومن جراح حفرها المكتسحون ، وجه لبنان المشوي ، وما اختصت به آدابه من نفحة انسانية تولدت في ارض مثلّث بين سكّانها كل العناصر البشرية تقريبًا ، وفي طليعتها فرنسة ، منذ عهارين غاليسة القدماء حتى اساتذة الجمهورية الثالثة ، مارّين بامراء الرحلات الصليبية ، وبسادة الادب ، وبما لا يُحصى عدده من مرسَلي الرهبنات المختلفة . »

واذا به يندفع في ذلك التصوير الطبيعي الشعري . واذا بنا نرى الجبال اللبنانية ترتفع من سراب الاحقاب مقتربةً من الشاطئ متشامخة لتلقي نظرها النسيح على تجمّدات الموج ، فتطبع فيها مرآتها المتنابة الى الابعاد السحيقة . واذا بنا نشاهد المدن النيقية تنفض عنها غبار

---

١) راجع ، في ذلك ، وفي جلسات المؤتمر عامة :

Les Nouvelles Littéraires, Paris, 3 Nov. 1935, n° 682, p. 7

La Revue du Liban, Paris, Décembre 1935, p. 1, 13, 18; Janvier 1936, p.2

Le Front Latin, organe du Comité France-Espagne, Paris, Janvier 1936, p. 13, 19 ...

Etudes, Paris, 5 Janvier 1936, p. 74,

المعرض ، بيروت ، ٢٧ كانون الاول ١٩٣٥ ، ص ١٤

البشير ، بيروت ، ٨ ، و ١١ ، و ١٣ شباط ١٩٣٦

العصور فبرز تير، وصيدون ، وبيريت ، وجبيل ، وبوتريس ، وأراد ، وأنطراد ، مخرجة ما في طيّاتها من آثار تلك المدينة الجزيلة الفضل على الانسانية الحاضرة . واذا بنا نرتفع شيئاً فشيئاً من ساحل نهر الكلب – وقد وقع على صخوره كبار النزاة من العصور السحيقة حتى عصرنا الفاتح الضخمة – الى شارف الجبل . وهناك دير القمر المستريحة فيها عظام الشهداء الى رقات ابطال البعثة الفرنسوية سنة ١٨٦٠ ؛ وهناك حمّاتا وبكفيّا وكاتا الى امس تمدّان صناعة ليون بحريرها ؛ وهناك بتدين وقصرها الفخم الذي استقبل لامرتين . هناك قصر البطل دي برفور في مرتفعات مبدا ؛ وهناك في طرابلس، قصر ريمون دي تولوز مربع مليء ، الاميرة البعيدة ، التي اوحت الحبّ لجوفروى رودل ، كما اوحت الفنّ لكردوتشي وادمون روستان . هناك غزير ، منزل رينان الذي فهم فيها لاول مرة عذوبة الاناجيل ، فكتب حياة يسوع ؛ وهناك غوسطا حيث كان يمثّل شيوخنا ، تجاه الشرق المسيحي الاسلامي ، عظمة لويس الرابع عشر ؛ وهناك عمشيت ترقد فيها هنريت رينان في قبر لبناني ؛ وهناك امهدن وبشرّي وحصرون آخر مناقل الصليبيين في جبالنا .

وينتقل الخطيب الى منبع الاردن ، قالى سهول البقاع ، قالى ينابيع الساميّ ، بعد ان يقف على اطلال بعلبك وقفة شاعر ذاكر . ويختم محدّدًا بلاده طبيعة ومعنى بكلمة واحدة ، هي الصمود : صمود في تلك الجبال الشامخة ، بل في تلك السهول ، وهذا ارتفاع البقاع يبلغ الالف متر . صمود في تلك الآداب التي عبّرت ، حتى في اللغات الميتة اليوم ، عن اسمى ما في النفس البشرية من طموح الى الحياة الخالدة . ولا يزال اللبنانيون القليلو العدد ، المنتشرون اليوم ، كما كانوا منذ العصور الفنيقية ، في جميع انحاء العالم ، يعملون في حقل تلك المدينة التي اوجدوها ، ونشروها ، وحافظوا عليها ، تلك المدينة المتممة بروح التساهل والمحبة ، الرامية الى تحقيق غاية الثقافة الانسانية ، الموافقة النفس البشرية على اختلاف نزعاتها ؛ تلك المدينة التي نشرها اللبنانيون قبل المسيح ، واسهم الفنيقيون اذ ذاك ، في مختلف القارّات ، والتي ظلّوا على الاهتمام بها ، بعد ان طهّرتها النصرانية فقرّبتها الى الطبيعة البشرية من جهة ، ورفعتها من جهة ثانية الى ما فوق هذه الطبيعة ، فاخذوا يعملون شأنهم في ما مضى على نشرها والدفاع عنها ، متشبّثين بهذه المنطقة الضيّقة التي لجأت اليها النصرانية الاسيوية فحفظتها ، وحدها ، من بلاد اليابان الى تركية ، من المحيط الهادئ الى البحر المتوسط . هذه المدينة اساس الآداب اللبنانية المعبّر عنها في مختلف اللغات ، والتي لا تزال ، لسوء الحظ ، مجهولة على ما فيها من العناصر المهمة لتكوين الثقافة الانسانية السامية . هي آداب شخصية تمثل صلة بين آسية واوربة . فتهمل بعض القيود العقلية الضيقة في مدنية اوربة ، دون ان تنصرف عن فهم الحقيقة كما هي ؛ كما انها تبدّد بعض الخيالات الغامضة في المدنية الاسيوية ، دون ان تنحرف عن السير في سبيل المثال الاعلى الفائق .

ثم عرض الخطيب في الجلسات المتتابعة ما يؤيّد قوله من وثائق وابحاث ودروس لبنانية دلّت على ان الادب اللبناني الحيّ يستند الى تلك الاركان الاربعة التي يقوم عليها هيكل المثال الفائق الذي نسمّيه بالمدينة ، الا وهي : محبة الله ، ومحبة الانسانية ، ومحبة الوطن ، ومحبة الأسرة .

وختم خطابه بعدد من الاحصائيات دلّت على ان لبنان ، على صغر رقعته وقلة سكانه ، يظهر في طليعة الناطق المثقفة في العالم ، وفي مقدّمة العاملين على اقرار تلك المدنية الانسانية التي من اجلها عُقد مؤتمر موناكو . واذًا فان له امنيّةً يتبغي ان يلقيها في الجلسة الختامية، ويتبغي ان تُسمع ، ويُعمل على تحقيقها . وهكذا كان .

اما تلك الامنية فهذا صوتها بالحرف :

امنية لبنان

لما كانت الثقافة العالمية في حوض البحر المتوسط ترمي الى تحقيق نظام فكريّ خاص ، والى الاحتفاظ به ، ونشره ؛ ولما كانت غايتها انشاء مثالٍ انساني اعلى يتشى عليه الفرد والجماعة ؛ فمن الضروري ان نتفق على تحديد هذا المثال.

نحن اللبنانيون ، العائشون في بلدٍ يبدو صغيحة دائرة تصل الاقطار الثلاثة ، المكتسبون من تقلبنا في المدنيات جمعاء منذ ستة آلاف سنة ، اختبارًا يشهد لنا التاريخ به ، المحتكون بكل المدنيات المعروفة في العالمين ، ماضية وحاضرة ، متأثرين بها ومؤثرين – لا يمكننا ان نحصر هذا المثال الاعلى في تعليم علميّ وادبيّ وفنيّ محض، ولا في تدريب عمليّ يعود علينا بالنفع العاجل، حتى ولا في اجمل طريقة لمزج هذا بذاك.

ان المثال الانسانيّ الاعلى الذي نعتبره غايةً لمدنيتنا ، بل للمدنيات جمعاء ، فندافع عنه ونعتصم ، هو امتزاجٌ عادل بين ما يفتقر اليه الانسان وما يتوق اليه ، من الوجهتين المعنوية والمادية . وهو – مع كونه لا يتهرّب من الوقائع الحاضرة ولا من ضروريات الحياة المادية – لا يتحقق الا في الميدان الروحي ؛ لانه يتضمن ، في وقت واحد ، التفتيش عن العلل الاولى ، وتحقيق غاية الانسان العليا – وهما شرطان اساسيان ، ان فقدهما الانسان ، ضلّ عن العالم وعن نفسه .

فعلينا اذًا ان نحذر استبدال الانظمة بعضها ببعض ، وان نفرق بين العناصر الماديّة والتقانية وهي ليست الا واسطة، والعناصر الخلقية والاجتماعية والروحية،

وهي ، في تدرجها المقرر في الفرد وفي الاسرة ، في المدينة وفي الدولة ، تثبت ذلك المثال الاعلى الذي يجب ان يكون غاية للحضارات كلها.

فاذا كان بعض الفضل في انشاء حضارتنا راجعاً الى الثقافة العالمية المنتشرة في محيط البحر المتوسط ، فليس السبب في ذلك محصوراً بدرس الكتاب المدرسيين من لاتين ويونان ، ولا بامتداد تأثير الثقافة اللاتينية - اليونانية في مظاهر المجتمع الجديد . ذلك ان اولئك المدرسيين ، وتلك الثقافة ، لم يمنعا انهيار اجمل ما بناه من انظمة سياسية واجتماعية في شر الملمّات التي لا تزال تهددنا اليوم.

وفوق ذلك فان بقاء الثقافة والحضارة اليونانية - اللاتينية ، بعد تطورها ، في انظمتنا الحاضرة ، عائد الى :

١ انهما وُلدتا ، قبل التاريخ المسيحي ، مما هو ارحب وامتن من العالم اليوناني - اللاتيني نفسه : من مُثُل عليا ، كانت لا تزال حائرة في التاريخ القديم ، تتلمس قاعدتها وغايتها من دون ان تجدها ، ولكنها حاصلة على قسط من المحبة البشرية يكفيها لان تدرك اكثر وافضل مما هو سريع التحقيق في الفرد والامة والجنس والانسانية ، ولان لا تفهم الانسان والانسانية كغاية في نفسيهما ، بل كعنصرين ، كلٌ منهما مسؤول تجاه الآخر ، وكلاهما مسؤولان تجاه الكائن المجهول الكلي القدرة الذي تشعران بوجوده . لو كان اكبر المفكرين القدماء يعتقدون ان الانسان والانسانية غاية في نفسيهما ، لما استطاع سقراط ان يبتسم وهو يشرب السم ، ولما كان الاسكندر ، وهو فاتح عالم جاثٍ على قدميه ، يعفّر الجبين امام آلهة نينوية ومصر وفارس والهند.

٢ لان الدين المسيحي ، الذي لم يفهمه الناس تماماً حتى في عصرنا ، — على كونه يتابع سعيه الى تحقّقه الاكمل ، — نفخ في الثقافة اليونانية اللاتينية حياة جديدة ، فاستطاعت النبتة الوثنية ان تقدم ثمارها ، ثمار اتجاهها نحو تلك الفضيلة السامية التي نعرّف بها المثال الانساني الاعلى ، تلك « المروءة » (virtus) التي طمح اليها حكماء الزمان الغابر ، فلم يُتَح لاتباعهم الا مشاهدة قبس ضئيل من نورها — في حين ان النصرانية الصميمة وحدها تكفّل بها جهود اية مدنية

كانت.

وقد كان للاسلام اثر حسن ، ولا شك ، في تمدين الاخلاق القديمة ، يوم انتزع من الوثنية طائفة كبيرة من بلدان الشرق الفسيحة . ان محمدًا ، الناظر الى المسيح باجلال تشهد به آيات هي من اجمل ما ورد في القرآن ، يدفعنا ، بصفته مهذبًا للاخلاق كبيرًا ، ان نعترف هنا ، كما نعترف حيثما وُجدنا ، بان لا حضارة ممكنة بلا اخلاق ، ولا اخلاق متينة بلا دين.

لا الميراث اللاتيني - اليوناني ، ولا التعاليم الباقية من عصور « النهضة » ، و« الاصلاح » ، و« الثورة » ، ولا المذاهب العصرية القائمة على الايمان بالواقع او بالعقل او باللذة ، تكفي لانشاء تلك الثقافة العالية التي نحلم بها ، والتي لا تتحقق الا اذا دعمتها الديانة المسيحية.

حتى في عصرنا الحاضر ، الذي لا تمثل وقائعه لاعين المطّلعين الا تلك الحوادث القديمة ، العادية ، مطبوعةً في آخر صفحات التاريخ ، نجد ان الشعوب الغارقة في تلك المذاهب الرجعية الدائمة بها الى التمسك بغرائزها القبلية مقرونةً باحقادٍ مستحكمة ، هي ، بالرغم من ازدهار علومها ، وتقدم ثقافاتها ، ودقة آلاتها ، تلك التي تخلّت عن النصرانية ، عائدةً الى وثنية جديدة ، همجية هدّامة . ان هذه المدنية المزعومة ، مدنية بلدان تُرائي بالنصرانية ، هي التي تثير فينا مطامعنا الشخصية ، وتلقينا في مجازر هائلة ما فتئت عارًا على الانسانية.

وسواء أجاهرت هذه الحضارة بالالحاد ام موّهت بالمسيحية ، فانها ، بما فيها من نهمة للقوة وشغف بالمادة ، ستؤدي باوربة ، ان لم تتنبه الامر ، في زمن قد لا يبلغ مئة سنة ، لا الى اضمحلالها التام ، بل الى انحطاطها ، واستعبادها ، واستعمارها على الطرق الاوربية نفسها ، وقد استغلتها شعوب فتيّة نشأت وراء اوربة ولم تنحط عنها قوة وعلماً . فنصبح اذ ذاك ، بفضل تجاهلنا ، وتباغضنا ، وتهالكنا المتبادل ، ارقّاء للصُفر ، او عبيدًا للسود ، ما لم نصبح رعية بلهاء للشكنة الوقائية ، او مستهلكين انهكتهم حاصلات الآلات الاميركية.

واذًا فليس علينا ان ننقذ فقط ميراثنا الروحي في حوض البحر المتوسط ، وحياتنا النفسية ، حلية الانسان وضمانة سعادته في هذا العالم وفي الآخر ؛ انما

علينا ، فوق ذلك ، ان نحافظ ، في دفاعنا عن هذا الميراث ، على كياننا وكرامتنا .

والنصرانية وحدها تقدّم لنا اسباب النجاة . انا لا اعني بالنصرانية احدى تلك المجموعات لاقاويل جوفاء تخفي سياسةً جائرة في الداخل ومستمرة في الخارج ؛ انا لا اعني بالنصرانية تلك الديانة الظاهرة على الشفاه وحدها ، قناعاً لماديّة الرأسماليين ومتاهةً لاحلام الخياليين . انما النصرانية الحقة — تلك التي ما برح المؤلفون اللبنانيون يتغنون بها منذ الفي سنة في الآداب السريانية ، واليونانية ، واللاتينية ، والعربية ، والانكليزية ، والفرنسوية — هي المرتكزة على عواطف الانسان واعماله ، المازجة بإنصاف حقوق العقل والطبيعة ، الداعية الى الاتحاد بالكون الشامل ؛ هي الطرح الروحي الذي يحملنا الى ما فوق الطبيعة من دون ان يحتقر الطبيعة ، ويلائم الحياة ملائمةً جعلته يجتاز مراحلها جمعاء فيحوّرها ، من وثنية بولس الطرسوسي ، وشهوانية اغسطينوس ، ووطنية جان دارك ، وشعور دانتي ، وشكّ باسكال ، وعلم باستور ، وجندية فوش ، وبطولة كينيير ، حتى شعر ميسترال ، وفن بوفي دي شاڤان ، وفلسفة مارتين ، وفيزياء برانلي ، وحتى نزعة پاپيني العصرية ؛ ان هذه النصرانية التي تقود الى كمال واحد ما تناقضَ من مصير البشر ، كسهام ترميها ، فتصعد ، بدل ان تغور في اللاشيء ، متصلًا مرماها بالخلود في لانهاية الله ؛ ان هذه النصرانية هي وحدها تحمل لنا النجاة ، لانها ، وحدها ، تثبت روح الحب والتفاهل والسماحة ؛ وبدون هذه الروح تصبح كل قوى العالم المتينة الاساس ، الظاهرة على هزء بالدمار ، محكوماً عليها ان تنهار يوماً في تلك المذابح الفائقة الحصر ، المتتابعة مَعالمَ في التاريخ .

حتى الذين لا يؤمنون بالوهية المسيح ، فيفتشون عن معلّم وعن مذهب ، حتى هؤلاء الملحدون ، لو اعتبروا بتعاقب الدول ونظروا الى اعماق ضمائرهم ، لوجدوا ان المسيح هو المعلم الوحيد ، وان تعاليمه هي المذهب الذي ينشدون . ولا فرق في ذلك بين ان يدرسوا التاريخ كله ، او ان يحصروا جهودهم العقلية في تحليل ثقافة انسانية تظهر من حوض هذا البحر .

اقول بان كل عمل عادل شريف ، وكل مشروع انساني كتب له البقاء ، وكل ما كان بنائياً على وجه البسيطة ، لصادر عن روح المحبة . تلك الروح التي لا نرى الا شكلها الناقص في كل البلدان وجميع العصور ، يرتسم على قاعدة المفاخر الانسانية او ينتلي قمها الشامخة ؛ تلك الروح التي لا نشاهدها كاملةً ، ساميةً ، الهية ، الا في انجيل المسيح .

فمجرد خلق العالم عمل حبي لو لم يحبنا الله يوم فكّر في اخراجنا من العدم ؛ لو لم يحبّ العوالم التي كوّنها بنظام عجيب تقصر افهامنا عن ادراكه ، وتذهل عقولنا درته فتتيتم امام السر المحيط باصغر قذاة من العشب ؛ لو لم يكن الخالق نفسه محبةً ، لبقي ، حتى الابد ، وحده تجاه نفسه ، ولبقينا ، نحن ، والكون اجمع ، في ابدية اللاشيء !

ان نشر النصرانية الحقيقية في بلد ما يكون بتوطيد السلام في ذلك البلد ، بين الافراد والاسر ، بين القبائل والمذاهب ، بين الطبقات والاحزاب ؛ نشرُ النصرانية هو توطيد السلام في الكنائس الكاثوليكية نفسها . اما ارجاع اوربة الى الديانة المسيحية ، فضمانة السلام بين كل الشعوب .

فعلينا ان نختار بين امرين : إما ان نجعل من هذا العالم ، الذي بنيناه بجهود جبّارة دامت الوفاً من السنين ، مدينة الله ومدينة السلام ؛ وإما ان نبقى واقفين بالمرصاد ، في اثناء السلم المؤقت ، نقتظر الحروب المتناوبة ، ونرى هذا القوي يدوس ميراث اجدادنا ودم ابنائنا .

تحاول طائفة من المفكرين — ومن كبارهم ! — ان يتهربوا من عناء التفكير في هذه المسألة الخطيرة ، لاجئين الى مذاهب شتى تختصر بهذا القول الصبياني : « منذ زمن قديم هضمنا مشاكل الايمان بالدين فلم نجد فيها نجاة لنا . فهات شيئاً آخر » . نحن لا نجيب هؤلاء المفكرين اللامعين ، المتخمين علماً ، بانهم لم يهضموا شيئاً من المعتقد الديني ، بل نقول لهم انهم لم يتذوقوا عرفه !

اجل ! نحن لا نطلب ان يقام في البلاد المسيحية نظام سلمي ناتج عن التسليح بتاتاً . ان الوفاً من الامبال تفصلني عمن يبشرون بنصرانية شاحبة ، من قوس. جُهم. وجائز بله . فالنصرانية لن تحو في الشعوب التي لا تتبعها ،

ميلها الغريزي الى الحرب والنهب . وان شئنا ان نمشي بالانسانية الى عصرها الذهبي ، وجب علينا ان نصبح اهلاً لذلك ، مجاهدين جهاداً مستمراً لحفظ ممتلكات النصرانية ، روحية كانت او مادية ، فنجابه بالسيف كل عدو ، ومعتدٍ ، وغازٍ — من دون ان نتحدى في ذلك موقف الدفاع عن النفس ، ذلك الموقف الذي خلق مجد يأر ، وجان دارك ، وفوش ، فكللّه الله بنجاح مجيد .

في هذه الاحوال فقط تزول الفروق بين الناس ، فيتسنى للافراد والجماعات ان يتحدوا في ظل دين واحد يمكنهم من الدفاع عن كيانهم ، ويضاعف قواهم ويحمد عنهم الغارات .

والآن اجيب من سأل عن حلّ للازمة الحاضرة : ان الازمة حادث نفساني على شيء كثير من البساطة . فهي نتيجة الفرضى الاخلاقية الناشبة في نفوس من يمسكون زمام الحكم في المجتمع العصري . وانما المسؤولية في اثارة هذه الازمة واقعة اولاً على الرجال السياسيين ، الفاقدي الضمير والوطنية ، الذين اصبحوا آلات عمياء للمآرب اقتصادية عمياء ، ودُمًى خرساء في ايدي الطامعين من ذوي المصالح ، ودعاةً منافقين لشعوب بريئة . المسؤولون ، هم الكتاب المسيطرون على الرأي العام ، الصادفون عن دورهم الاجتماعي في حلّ معضلات زمانهم ، المؤلفون طائفة حيادية ، هي في هامش الحياة القومية ، ثرثرة ، لاهية ، لاجئة الى طرق مستهجنة تلاعب بها الرأي العام ، وتساعد ملتزمي المشاريع المدامة في مهمتهم الشنعاء ؛ فتصبح ، وفيها اناس يشاهدون ما يُمثل من الفظائع في عقر دارهم ، وكأنهم لا يشاهدون ، فيقون ، كما كانوا ، عديمي العاطفة الانسانية امام طغيان الفرضى الشاملة . ولو انهم تبعوا واجبهم ، لكانوا ، كسلافهم الاماجد ، في القرون الاماجد ، اركان النظام الحاضر او بناة النظام الجديد . المسؤولون ، هم الزعماء الروحيون الذين نسوا انهم قادة النفوس ، فجعلوا من ايمانهم بمهمتهم صورة خيالية صعبة التحقيق ، وحصروه في زوايا نفوسهم الضيقة ، كانهم يقيسونه في ملك خاص ، متوفرة فيها اسباب الرخاء والراحة نحن لو استطعنا ان نزيد في طموحنا الروحي الذي يدرّ علينا خيرات لا تحصى ،

وان نقلل من طموحنا المادي الذي يهيج بعضنا على بعض ، فيهيّم ويهدّم من دون ان يرتوي ؛ لو كان لنا نصيب اوفر من الفضائل المسيحية ، لما كنا نشعر بالازمة ، حتى في اكثر بلاد الله عملاً.

وفي الختام ، اعرض الاماني التالية :

« لما كانت النصرانية ، حتى في نظر غير المؤمنين ، عملاً تمدينياً من اعظم الاعمال خطورةً في الحقل الروحي ، وحدثاً اساسياً من احداث حوض البحر المتوسط في المنهاج الزمني ، بل هي ، فوق ذلك ، على ما اراه في عقيدتي ، تدخل الهي في مصير البشرية ، كان لزاماً على الثقافة الانسانية في حوض هذا البحر المهتمة بانقاذ حضارتنا ، وعلى هذا المجمع الادبي خاصةً ، وهو يلتمس الوسائل لبلوغ هذا الهدف ، ان ينالا من التعليم الرسمي ومن الجامعات الحرة في كل البلدان المشتركة فيه ، بان يُهتمّ بكل ما اخذنا عن النصرانية في بناء حضارتنا ، وبكل ما يمكن ان نأخذه عنها في تأييدها النهائي ، فيُدرس ، ويُدافع عنه ، وتُذاع له الدعوة.»

موناكو ، في ٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ شارل قرم

من اعضاء « الجامعة الادبية في لبنان » ،
و« اتحاد الكتاب اللبنانيين باللغة الفرنسوية » ،
ومدير « المجلة الفينيقية » .